ما لم يقله الشعر

محمود سليمان الظاظا

ما لم يقله الشعر

محمود سليمان الظاظا

مقدمة

في عالم الشعر، تتناثر الكلمات وتتردد الألحان، لكن هناك دوماً ما يبقى خلف الأبيات، ما لم يُقال، وما تختزنه القلوب من مشاعر وأسرار لا تستطيع القافية احتواؤها، ولا تستطيع الكلمات التعبير عنها.

في هذا الكتاب، "ما لم يقله الشعر"، أقدم لكم رحلة إلى ما خلف السطور،

حيث الصمت يحمل أعمق المعاني، وحيث تكمن تلك المشاعر التي لا تجد لها مكاناً في قصائد تقليدية.

لقد حاولت في هذه الصفحات، بصوتي الخاص، أن أقترب من تلك الزوايا المظلمة للنفس، لأكشف لكم عوالم لم تُحكَ من قبل، وأحاسيس لم تُنطق بها الكلمات.

أنا، محمود سليمان الظاظا، أشارككم هنا تأملاتي وأفكاري التي تعانقت مع الحروف، لعلنا نصل معاً إلى ما كان صامتاً في القلب، لكنه كان ينتظر اللحظة ليُسمَع.

أدعوكم لأن تغوصوا معي في عمق هذا الكتاب، وتكتشفوا معي ما لم يقله

الشعر، ولكن ظل ينبض في أعماق الوجدان.

_1

نظرات لا تُقال

نظرتْ إليه نظراتٍ
تحملُ في طيّاتها
معانيَ لا تُقال...
همساتٍ خفيّة،
عشرات الأسئلة
من عشقٍ ممنوع،
وحبٍّ محرَّم.

وكان هو
يمضي عابرًا،
لا مبالياً،
كأنّ شيئًا لم يكن.
لم يمنحها حتى
نظرةَ عيون.

2_
بحر الظلمات

في بحرِ الظلماتِ
غَرِقَتْ جميعُ مَراكبي،
تاهَتْ ملامحُها،
وانطفأتْ أشرعتُها في العَدمْ.

في قاعِ بحرٍ مُعتمٍ،
ذابتْ خُطايَ،
فلم يَبقَ لي منها
أثرٌ يُرى...
ولا حتى وَهْم.
_3

لبنان

لا شيءَ يُضاهي
أو يُوازي
جمالَ لبنان...
وطبيعتَهُ الخلّابة،

كأنّهُ قطعةَ
من الجِنان.

خلقهُ اللّٰهُ بإتقان،
فأبدع في تصويره،
وفي تكوينه،
وفي إبرازِ تفاصيله.

جلَّ جلالُ اللّٰه،
المنفردُ عن الشّبيه،
عن المثيلِ،
عن الشّريك،
عن الزوجةِ،
وعن الولد.

4_
مفترق الطريق

عند مفترقِ الطريق...
فقدنا خارطةَ السير،
وخرائطَ المدن،
والسّهول،
والجبال،
والأنهار،
والممراتِ الجبليّة.

في وطننا لبنان،

فقدنا أغلبَ المساحاتِ الشاسعة،

وغاب عن ذاكرتنا

طريقُ العودةِ

إلى الحيِّ القديم...

_5

الحيُّ القديم

في الحيِّ القديم،

كنا نُجفف التمرَ،

والجوزَ،

واللوزَ،

والتينَ،

والعِنَب...

كنا نُشعلُ البخور،
ونُقيمُ الولائمَ
للأهلِ والأصدقاء.

كنا نستريحُ قليلًا
تحت ظلالِ الأشجارِ الوارفة،
ونُطالع مجلات:
"السندباد البحري"،
"الأميرة النائمة"،
و"الجزيرة السوداء المفقودة".

كنا نلهو في البساتين،
ونجمعُ أوراقَ الورد...

فماذا عسَانا نفعلُ اليوم،
يا تُرى؟
وقد طُمِسَت معالِمُ
الحيِّ القديم
بالكامل؟

6

الأمل
تُصبحون على أمل،
تُمسون على أمل،
لكن...
تقلَّص ثلثُ مساحةِ الوطن،
بين ليلةٍ وضُحاها،

وصارت كلمة "الأمل"
أثراً بعد عين،
لا وجود لها
إلا في ذاكرةٍ بعيدة،
وفي كتبِ الرحّالة
من اللبنانيين الأوائل...

7

جبل الشيخ

ما بين جبلِ الشيخِ وصَنينْ
وتِلالِ بسكنتا الوعرةِ
ذَبُلتْ أحلامٌ كثيرة

وأزهرتْ آمالٌ كبيرة
تَشهدُ عليها الطبيعةُ
الخلّابةُ هناك... جيدًا

8

تاه

تاه ذلك المخلوق
الغريبُ العجيب
في أقطارِ السماواتِ
والأرض،
تاه... فلم يَعِ وجهتَهُ
ولا عرفَ سبيلَ العودة
إلى حيثُ كان.

أم أنَّ ملاكًا من الملائكةِ
العِظام،
قد أصابهُ بشِهابٍ باسق،
فأرداه؟
واللّٰهُ أعلم...

9
ليل

ليلٌ يجرجرُ رِدَاءهُ
المنسدلَ،
الواسعَ،
الفضفاض،

تحتَ أقدامِ التيه،
وعاصفةٍ هوجاء
تلقي بظلالها
وهمومِها المقدَّسة
على كتفيهِ،
دونَ أن يُحرّك لسانهُ
ببنتِ شَفَة.

10
بلدة بشري

ما بين الأديب والشاعر اللبناني
الراحل جبران خليل جبران،
وبلدة بشري،

حبلٌ سريٌّ من الكلمات،
عشرات القصائد،
مئات القصائد،
وربما آلاف القصائد
التي لم تُكتب بعد...
أو كُتبت ولم تُنشر،
وظلّت هناك،
في شقوق الصخور،
وفي أنفاس الأرز،
وفي صمت الجبل
الذي أنجب شاعراً يشبه الخلود.

أشجار الصنوبر

لا تزال كلمة الأمل
حيّة... نابضة...
في ذاكرة
ووجدان
أشجار الصنوبر
الباسقة، المعمّرة،
تنتظر الفجر
وتحلم بالمطر،
قبل أن تمتد يد الحطّاب
وتحوّلها
إلى خشبة شواء،
أو وقودًا يتوهّج

في مدفأة الشتاء.

12

قلم الحبر

جفَّ الحبر
في قلم الحبر،
حتى ينبوع أفكاري
جفَّ اليوم...
تحت وطأة
أسبابٍ نفسيةٍ ضاغطة،
وظروفٍ معيشيةٍ
خانقة،
عجزت نفسي المسكينة

أن تتخطاها،
أو تتجاوزها...
فانكفأتْ
على صمتٍ مبلّلٍ بالخيبة.

13
كما هي

سأكتب القصيدة
كما هي،
كما خطرت في مخيلتي،
وانطبعت في قلبي.
لن أزيد عليها
حرفًا واحدًا،

ولن أنقص منها
حرفًا واحدًا.
سأصوغها
كما هي...
وكفى.

14
ألاسكا

يبدو أن صباح
هذا اليوم
يشبه ألاسكا...
برودة أعصاب،
وأفكارٍ مُجمّدة،

مُجلّدة

حتى إشعارٍ آخر.

مزاجٌ متقلّب،

وهدوءٌ تام

يخيّم

على طاولة الكتابة.

15

عالم الجنيات

لم يلتفت إليها،

لم يهتم،

ولم يُصغِ إلى إرشاداتها،

تعاليمها،

أوامرها...

لم يُعرها اكتراثًا،
كأنها لم تكن يومًا،
وكأنها لم تعد موجودة،
إلا في حكايات
تحضير الأرواح،
وفي عالم الجنيات
الذي لا يصدّقه أحد.

16
فكرة

فكرة
سطعت في رأسي:
أن لبنان بخير،

وشعبه بخير،

وكلّ شيء

يجري بخير...

مجرد فكرة عابرة،

هكذا،

لمعت كوميضٍ خاطف،

ثم انطفأت

وتلاشت

في الهواء الطلق.

17

لحظة مهيبة

وفي لحظةٍ مهيبة،
وَجِلَتْ فيها النفوس،
خشعت القلوب والأبصار،
وتجمّدت الدماء
في الشرايين والعروق...

تكلم اللّٰه سبحانه وتعالى
بكلامه الذاتي،
الأزلي الأبدي،
الذي لا هو حرف،
ولا صوت،
ولا لغة...

أمرَ جميع ملائكته الكرام

بالسجود لآدم عليه السلام،
سجودَ تحيّةٍ واحترام،

فسجدوا جميعًا،
دفعةً واحدة،
امتثالًا لأمر اللّٰه عزّ وجل،

إلّا إبليس،
وكان من الجن،
فأبى، واستكبر،
وكان من الكافرين.

18
ربك الأعلى

وإذ قال ربنا سبحانه وتعالى
في كتابه الكريم،
لنبيّه محمد ﷺ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ
﴿ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴾
صدق الله العليّ العظيم.

أي:
وحِّد،
وعظِّم،
ونزِّه...
ربّك الأعلى،

العالي القدْر،
الذي لا يعلوه أحد،
ولا يُشبِهه شيء.

19

جبال الأرض

كلما ارتفع صوت الأذان
في أرجاء المعمورة:
اللّٰه أكبر، اللّٰه أكبر...
خَرّت جبال الأرض قاطبةً
ساجدةً
لربِّ العزّة والملكوت.

20

شكيب بك أفندي

وكأن الزمن يعود بك
إلى الوراء...
إلى سنة 1916،
حقبة السلطنة العثمانية،
الباب العالي،
المحكمة العرفية في عاليه،
الدولة العليّة،
وسلطانها العثماني
جمال باشا.

هناك،
شكيب بك أفندي،
رحمة وساجد،
والطبيب ناضر عون،
وفلول الجيش العثماني،
هم يجتازون تلال بسكنتا الوعرة،
بجوار جبل صنين الأشمّ،
بحثًا عن جواسيس الحلفاء
المطلوبين
للعدالة لدى السلطات العثمانية...

تاريخٌ من التاريخ.

21

في الأسواق

وإذ نادى النبي عيسى عليه السلام
في الأسواق:
"اياكم والربا،
لا تطففوا في الكيل والميزان،
احذروا الغش،
ومعصية اللّٰه المتعال،
واذكروا ربكم،
خالقكم،
في كل وقت وحين."

22

يوسف مسعود الجاروفي

ما بين بلدة الباروك،
وأرز الباروك،
وجبل صنين...
صولات وجولات
للدركي السابق،
يوسف الجاروفي،
الذي يعرفه الشوفيون جيدًا!

لا يزال أزيز صدى
طلقات بندقيته الألمانية،

ورصاصاته،
وبعض الشظايا،
على بعض الصخور،
هناك.

23
واهن حتى المخيخ

واهن حتى المخيخ،
من يظنّ
أن الدنيا ستقدم لك كل شيء
على طبق من فضة!
أو ستمنحك شيئًا،
أو ستجني منها شيئًا.

واهن حتى المخيخ،
عزيزي،
عزيزتي،
فالدنيا لن تمنحك شيئًا،
ولن تقدم لك شيئًا،
ولن تحصّل منها على شيء.

واهن أنت يا عزيزي!
واهن وبقوة.

وإن منحتك الدنيا شيئًا،
فقد أخذت منك أشياءً،
وأشياءً،

وأشياءً...

فتوكّل على اللّٰه المتعال،
وسلّم أمرك إليه،
هكذا فقط.

24
مسارها الطبيعي

أكثر ما يقلقني،
يؤرقني،
أو يعكّر صفاء ذهني،
في هذه الفترة بالذات،
هو تقصيري أحيانًا

في أداء الصلوات الخمس
في أوقاتها المكتوبة...

تخلفي عن حضور
مجالس علم الدين،
التابعة لجمعية المشاريع الخيرية الإسلامية،
دون عذر شرعي.

وانحراف قصيدتي
الثورية البطولية،
الهجومية،
العابرة للقارات،
عن مسارها الطبيعي،

وسقوطها في سهل
ليس بذي زرع.

25
على قصيدة

أصحو على قصيدة،
وأغفو على قصيدة،
وكأن الكون في متناول يدي،
عبارة عن مجموعة
لا حصر لها
من القصائد.

26---

موهبة الشعر

على حين غرة
وبلا سابق إنذار
تتفوق موهبة الشعر
على الشعر ذاته!
فتشرق شمس الحروف،
تزهو المفردات،
وتسطع الكلمات
بين مدٍّ وجزر...
فتغدو القصيدة
كأنها وحيٌ من الغيم

أو نبعٌ من الضوء
لا يُكتب،
بل يُولد
في لحظة صدق
بين القلب والكون...

27

عرشُ كيانك

إذا اهتزّ عرش كيانك:
عرشُ عملك،
عرشُ مالك،
عرشُ وجودك،
عرشُ حياتك،

عرشٌ مستقبلك،
عرشُ وجاهتك...

وسقط —
فسيسقط عليك وحدك.

لا تظن،
ولا تحسبنَّ
أن أحدًا سواك
سيتأثّر،
يكترث،
يبالي،
أو يعاني
من تداعيات هذا الانهيار الكبير،

وما يخلّفه
من أضرارٍ وخسائر
في روحك
وفي مصيرك...
لكن...
حتى إن سقطت،
ففيك بقايا نور
وفيك أنقاضٌ
تبني منها ذاتك من جديد.
فقم،
وامسح غبار الهزيمة،
وانهض كما تنهض الجبال
من تحت رماد الزلازل.
فالعظمةُ

لا تولد من الثبات،
بل من السقوط...
ثم الصعود.

28

محمد ﷺ

ليس اليتيم
من فقد والدًا أو أمًّا،
أو غاب عنه قريبٌ أو صديق،
بل اليتيم حقًا
من سمع بدعوة محمدٍ ﷺ
ولم يؤمن،

ولم يهتدِ بنور الإسلام.

ذاك هو اليتيم،
ذاك الذي حُرم الهدى،
وضلّ عن درب الرحمة،
وغابت عن قلبه أنوار
"اقرأ"،
و"ارحموا من في الأرض"
و"إنما بعثت لأتمّم مكارم الأخلاق".

29
أرز بشري

في جرود وأحراج بلدة بشري،

تسامَت أشجار الأرز
الخضراء، الباسقة،
البهية، المعمّرة...

كأنها وجدت ضالتها هناك،
وسط طبيعةٍ خلّابة،
تُسبّح بجمالها
عظمة الخالق
سبحانه وتعالى.

وفي كل نسمةٍ تهبُّ من سفوحها،
صوت جبران يُهمس للكون:
"لكم لبنانكم... ولي لبنان"
فتمتزج أرواح الشعر

بظلال الأرز،
وتتجلى بشري...
قصيدةً خالدة في ذاكرة الأرض.

30

جبران خليل جبران

حين كان الشاعر والأديب اللبناني الراحل
جبران خليل جبران
يكتب الشعر،
وينثر كلماته في فضاء الروح،
كان صديقه الأديب والمفكّر اللبناني
الراحل

ميخائيل نعيمة

يستخلص من تلك الكلمات

المواعظ،

والحِكَم،

والعِبَر،

كما يُستخرج الضوء من قلب الكلمة،

وكأن جبران يكتب...

ونعيمة يتأمل النور المتولّد من الحبر.

وفي مهجر الغربة،

حيث اشتد الحنين وتغلغلت الأشواق،

مزجت أقلامهما هموم الوطن،

فكانت الحروف جسرًا

يربط بين الأرض والسماء،

وحكاية أبدية عن عشق لبنان،
لا تنتهي، ولا تغيب.

31

طائرة ورقية

كل الآفاق في بلدي العزيز، لبنان،
تبدو مغلقة،
ولا بصيص أمل يلوح في الأفق،
كطائرة ورقية ممزقة،
تهيم في الفضاء الرحب،
لا تدري على أي أرضٍ
ستحطّ.

لكن،
حتى الممزق يُمكن أن يجد جناحًا جديدًا،
ينسج به من رياح الصبر قُبّة الأمل،
فيظل يحلّق رغم الألم،
منتظرًا أرضًا صالحة،
تحتضن حكاياته وتُعيد له الحياة.

32
منافذ الحياة

كلما رأيتُ واحدًا
من أصدقائي المتلونين،
أصحاب الأقنعة المزيفة،
سودت وسدت

منافذ الحياة

في وجهي.

لكن،

في زوايا القلب المظلمة،

تبقى نافذة صغيرة،

تنتظر نفوسًا صادقة،

تشرق منها شمسُ الحقيقة،

فتفتحُ أبواب الحياة من جديد.

33

أرز بشري

حتى يومنا هذا،

ما زالت أشجار الأرز في بشري

موقنةً بأنها العنوان،

ورمزٌ

للبقاء،

والصمود،

والخلود.

فكما تظلُّ أغصانها شامخةً في السماء،

تظلّ لبنانُ في قلوب أبنائها،

متجذّرةً في التاريخ،

وعلى دروب الزمن،

تُعانق المجدَ والحياة.

34

كتابة الشعر

لم أعد أعلم،
هل أنا من يكتب الشعر،
أم أن الشعر هو من يكتبني؟
تشابهت الأفكار،
وتداخلت الأحاسيس،
حتى ضاعت حدودي بين الكلمات.

وهكذا،
أصبحنا واحدًا لا يفترق،
أنا والشعر،
رُوحان متشابكان،

يتنفسان معًا،
ويصنعان من الصمت صدىً خالدًا.

35

بلا امرأة

لا يقوى الرجل
على العيش بلا امرأة،
فالمرأة له كالروح،
كالرئة،
كالكبد،
وكالقلب

في جسده.

هي النبع الذي يرويه حين يجفُّ الظمأ،
والظلّ الوارف حين يشتدّ الحرّ،
هي الحضن الدافئ في برد الأيام،
وهي الصوت الذي يُغني للحياة ألحانها.

36
اللّٰه سبحانه وتعالى

اللّٰه سبحانه وتعالى
يفتح باباً برحمته الواسعة،
ويغلق آخر بعدله وحكمته.
فهو العليم الحكيم،

الرحيم بعباده،
والعدل في قضائه.

قال تعالى في كتابه الكريم:
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
{لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ}
صدق الله العلي العظيم.

---37

الانحدار البشري

أقسى مراتبِ
الانحدارِ البشرِيِّ

أن تُقيمَ دويلةَ
في قلبِ دولتكَ،
وأن تُشهرَ السلاحَ
في وجهِ جيشِكَ،
وتستعينَ بأعدائهِ
كي تضربَ
وحدتَهُ،
مؤسساته،
ثكناتِهِ،
ومراكزَ القوةِ
والقيادةِ فيهِ،
لتهزَّ أمنَهُ،
وتغتالَ استقرارَهُ...
يا للخيبةِ!

أيُّ نذالةٍ هذه؟
بل نذالةٌ عُظمى،
تخونُ الأرضَ
والعرضَ
والوطن!

38

صباح هذا اليوم

سأسعى جاهدًا
هذا الصباحَ الصيفيَّ
الجميل،
أن أتركَ القصيدةَ الرومانسيةَ

بحالِها،
لا مساسَ...
لا نداءَ...
ولا شغف،
حبًا بالشعرِ،
ورحمةً بالشعراءِ.

38
أزمة الشعر

لم يعدِ الشعرُ
يجدي نفعًا،
لا سيّما
في هذه الآونةِ

العصيبة،
بالذات...
لا بدّ من البحثِ
عن آفاقٍ مديدة،
وسُبُلٍ جديدة،
تعيدُ للشِّعرِ
موقعَهُ الطبيعيَّ
في الجملة،
وفي الحياة.

40

يتراءى لي

يتراءى لي
أن الفكرةَ الأساسيةَ
للشعر،
قد اتّضحتْ...
بالكامل.
فهي لم تولدْ
ميتة،
بل كانتْ
تُخفي أنفاسَها
في سكونِ الحرف.

41

شاعر واحد

شاعرٌ واحدٌ،
ربما،
من بين جميعِ
شعراءِ بعلبكَ
القدماءِ،
تَنَكَّرَ لـ"بعلٍ"
وأشهرَ شهادةَ
الحقِّ:
أن لا إلهَ إلا اللّٰه،
وأنَّ إلياسَ
نبيُّ اللّٰه.
فنالَ الجنَّةَ
وربِّ الكعبةِ

المشرّفة!

42

كتابة الشعر

حين أفكّر
في كتابةِ الشعر،
تسرحُ مخيّلتي
في المدى
الواسعِ الرحب،
تتسارعُ دقّاتُ قلبي،
أَنسلخُ عن ذاتي،
أستجمعُ أفكاري

وقوّتي،
فتُبصرُ القصيدةُ النورَ،
وسطَ هذا الكمِّ الهائلِ
منَ المشاعرِ
الجياشة.

43

بعل لا يستحق القصيدة

بعضُ شعراءِ
بعلبكَ القدامى،
كانوا يعبدونَ "بعلًا"،

يقدّسونه،
يعظّمونه،
يمجّدونه،
ويمدحونهُ
كربٍّ مزعوم.
لكنّه،
والحقُّ يُقال،
لا يستحقُّ
أن يكونَ
نقطةً
على حرفٍ
في القصيدة.

44---

" الباروك...حين يعلو الأرز"

لم تزلْ
بلدةُ الباروكِ الشوفيّةُ،
شاهدةً
على صمودِ أرزِها
الأخضرِ،
الباسقِ،
حتى في أشدِّ الظروفِ
المناخيةِ،
والطبيعيةِ،
والعواصفِ الثلجيةِ

القاسية.

45

بلدة بشري

لا تزالُ سفوحُ
ومرتفعاتُ بشري،
تهمسُ باسم خالقها،
بلسانٍ عربيٍّ
فصيح.

46---

لحظات قليلة

لحظاتٌ قليلةٌ،
تنقضي المسرحية،
تتكشفُ الأقنعةُ المزيفة،
ويظهرُ كلُّ ممثلٍ
على حقيقته.

47

بني معروف

بني معروف، ما بالكم
ما أصغَيتم لنداءِ العقلِ في هذا الزمان؟

رياحُ الفتنةِ هبَّت، صفراءَ،
متلونةً كالحرباءِ في الوديان.

زيَّنت لكم دربًا
ضدَّ جيشِ بلادِكم،
فصرتم تُقاتلون من كانوا
لكم درعًا وسيفًا وأمان.

حُضِضتم، حُرِّضتم،
فمضيتُم بلا رويَّةٍ ولا برهان،
فنالكم من الجزاءِ ما
استحَقَّه من خانَ العهدَ وخان.

ولو أنكم أصغيتم لنبضِ العقل،

وتأنّيتم قبل الغضبِ والطغيان،
لنجوتم، وسلِمت الأرضُ من الدخان.

ألم يُقال – وما أصدقَ ما قيل:
"العَجَلةُ من الشيطان"؟

48

في لبنان
صدر الحكمُ
جهاراً نهاراً
بإعدام الفقراء
على الملأ،
فوق حجارة الشواهد،

تحت أنظار العدالةِ
الصمّاء.

في لبنان

في لبنان
تُقايَض الأرواح
بليراتٍ مهترئة،
ويُباع الخبز
بثمن الكرامة،
والدواء يُوزَّع
بحسب الطائفة.

في لبنان

يُولد الطفلُ
وفي عنقه
قيدُ الدَّين،
وتُقفل المدارس
كي تُفتَح السجون،
وتنبتُ الأسلاك
مكان السنابل.

في لبنان
يصمت الشعر،
ويصرخ الجوع،
ويُصفَّق للقاتل
باسم الزعيم،
ويُرمى الشهيد

في مقابر النسيان.

49

قصر الصنوبر

في قصرِ الصنوبر،
اهتزّ رأسُ النبعِ
وهاجَ...
وماجَ...
ومالَ الصنوبرُ،
كأنه يشكو
من خذلانِ الجذور.

لأسبابٍ
كثيرةٍ...
متشابكةٍ كالأغصان،
غائبةٍ عن وعي الناس،
ومخفيةٍ
تحت رمادِ الخُطَبِ
والمؤتمرات.

50

هواء الباروك

كان أرزُ الباروكِ

يُلطفُ الهواء،
ويعطّره
بعطورٍ
لا تزالُ مجهولةَ الاسم،
لكنها محفورة
في ذاكرةِ النسيم.

كانت نسمةٌ واحدةٌ
تكفي
لتغسلَ القلبَ
من غبارِ المدن،
وتعيدَه
إلى فطرته الأولى.

51

شمهروش لا يعود

لم يعد أحدٌ
يكترثُ للبنان،
لهمومه الشائكة،
وسماءٍ
متلبدةٍ
بضبابٍ لا ينقشع.

لا دولةً عربية،
ولا أجنبية،
ولا حتى شمهروش،
قاضي قضاةِ الجنِّ المؤمنين،

أعارهُ التفاتةَ
أو هزّ رأسَه
أسفًا
على ما آل إليه.

ما عاد يلجمُ الشياطين،
يتركون آثارَهم
في سمائه،
يغطسون في بحاره،
يسيرون على يابسته
كأنهم أصحابُ الدار،
ولا من يُنذرهم
أو يطردهم
قيدَ أنملة.

52

كالريح

مرت الأعوامُ كالريح،
وحرفُ اسمي ما زال هناك،
يحكي قصةَ طفولةٍ،
وشجرةً شامخةً،
وشريانَ حياةٍ يتدفقُ
بين جذورِ الأرضِ والسماء.

حين أعودُ إلى الباروك،
أجدُ في الهمسِ بين الأغصان،

صدى صوتي القديم،
يُعيدني إلى حيثُ كنتُ،
وحيثُ سأظلُّ،
جزءًا من تلك اللحظة،
وجزءًا من خضرةِ الصنوبر،
ونقاءِ مياه الينبوع.
53
حرف اسمي

في الباروكِ،
نقشتُ حرفَ اسمي—
M—
على شجرة صنوبرٍ باسقةٍ،
معمرة،

منذ نحو خمسةٍ وثلاثينَ عامًا.

ناحية سبيلِ المياه،
نزولًا إلى اليمين،
أملي أن يبقى هناك،
يتناغمُ مع النسيم،
مع خريرِ الينبوع،
مع غابةِ الصنوبر،
وجبالٍ شاهقةٍ،
تلامسُ الفضاءَ الأزرقَ الرحب.

54
ساحة دير القمر

في ساحةِ دير القمر،
أقامَ القمرُ وليمةً فاخرةً،
دعوةً للنجمات،
حفلًا بلا مثيل،
تحت سماءٍ تلمعُ
بسحرٍ وبهاء.

تراقصت النجومُ،
وأطلقت الأغاني،
وترنمت النسائمُ،
في ليلةٍ من دفءِ الضوء،
وأحلامٍ لا تنتهي.

ملايينِ الأشعار

في الباروكِ،
تتراقصُ ملايينُ الأشعار،
بل مئاتُ الملايينِ،
مبعثرةٌ كنجومٍ،
في فضائهِ الرحب،
وفي هوائهِ العليل.

كلُّ نسمةٍ تحكي،
كلُّ ظلٍّ يهمسُ،
بحكايةِ شاعرٍ،
أو حلمٍ لم يُكتب بعد.

56

الفضاء الرحب

في الباروكِ،
عانقت أشجارُ الصنوبرِ
الباسقةِ المعمرةِ
الفضاءَ الرحبَ،
سرًّا وعلانيةً،
في مشهدٍ غريبٍ،
لا يصدّقهُ العقلُ،
ولا يُدركُهُ الخيالُ.

57---

محمود بيك

زملائي في العمل
يلقبونني
بـ "محمود بيك"،
لا أدري هل هو استحقاقٌ،
أم مجاملةٌ،
لا تقدّمُ، ولا تؤخر،
ولا تفضي إلى شيءٍ،
سوى صوتٍ في زحمةِ الأسماء.

58

نهر الباروك

في نهرِ الباروكِ
كتبَ الباروكُ
رسائلَ شوقٍ وحنينٍ،
على كلِّ حصاةٍ
موجودةٍ
في قعرِ النهرِ،
تُلامسُها مياهُ الذكرياتِ،
وتُهمسُ بها رياحُ الأبدية.

59

مطعم البيك

في دير القمر،
تناول القمرُ وجبةَ الغداء،
في مطعم البيك،
سحره المكان،
وأعجبه الطعام،
فأصبح حكايةً
تُروى بين النجوم.

60

طرفة عين

في دير القمر،

ابتسم القمرُ
لمسجد الأمير فخر الدين المعني الأول،
ابتسامةً عريضةً،
كأنه لا يحوّل وجهه عنه،
ولا يحيد ناظريه،
عنه،
طرفةَ عين.

61
كمال بك جنبلاط

ما زالت الشوفُ،
حتى أيامنا هذه،

تهتفُ باسم قائدها،
معلمها الكبير،
كمال بك جنبلاط،
مستخلصةً منه
الحكم والعبر،
والبطولة،
والرجولة،

في مقارعة الأعداء،
للدينِ والوطن،
بكل غالٍ ونفيس،
بكل دمعةٍ ودمٍ،
حافظًا على مجد الأرض.

بيت العقل

وفي بيتِ طائفةِ العقل،
الدرزي في الشوف،
بقيتُ قصيدتي بلا عنوان،
أهتدي إليه،
ولا فكرة صائبة،
راجحة، رائجة،
تُضيءُ دربي،
وأحتذي بها.

كأنّ الأفكارَ
كلّها معلقةٌ
في الفلاة،
بين أرضٍ
وسماء،
هكذا فقط،
تائهٌ...
أبكي صمتي.

63
صهوة جواده

في دير القمر،
امتطى القمرُ العاجي،

صهوة جواده الأبيض،
متنزّهاً بين السهول،
الوديان، الغابات،
الجبال، الأنهار،
الينابيع العذبة،
الشلالات المتدفقة،
والأنهار الجارية،

بفرحٍ وسعادةٍ
كبيرةٍ لا تُضاهى،
يحملُ في عينيه
نبض الحياة،
ونغمة الفرح الخالد.

64

نافورة المياه

في دير القمر،
التقط القمرُ لنفسه سيلفي،
أمام نافورة المياه،
وصعد بها إلى السماء،
كذكرى جميلة،
أو تذكارٍ نادر،
قد لا يتكرر مرتين،
على الإطلاق.

65

نافورة المياه

في دير القمر،
التقط القمرُ لنفسه سيلفي،
أمام نافورة المياه،
وصعد بها إلى السماء،

كذكرى جميلة،
أو تذكارٍ نادر،
قد لا يتكرر مرتين،
على الإطلاق.

وفي سكون المساء،
تراقصت قطراتُ النافورة

كأسرارٍ تهمسُ للريح،
وابتسم القمرُ بهدوء،
ملامسًا انعكاسه في الماء،
يحتفظُ باللحظة،
كأنها قصيدةٌ
تُكتبُ بلا كلمات.
66

جبل الشوف

ما زالَ جبلُ الشوفِ الأشم،
شامخًا،
صامدًا

في وجه الأعاصيرِ الصفراء،
الهوجاء،
لا تهزّه ريحٌ،
ولا تشوبهُ شائبة،
كأنه وُلدَ من صخرِ الكرامة،
ونقشَ في ذاكرةِ الأرض
عزّةً لا تزول.

67

وحيدًا

لم يعد القمرُ
ينيرُ دربَه،

ولا النجومُ
تسطعُ في سمائه.

سيعبرُ وحيدًا،
ذلك الحلمُ
باتجاهِ اليقظة،
بلا رفيق،
ولا ضوءٍ
يخففُ العتمة.

68
رفضًا قاطعًا

أنا أرفضُ،

رفضًا قاطعًا،
لا لبسَ فيه،
وبشدةٍ لا تلين،

الاعتداءَ على الأسرى،
ولا على المقاتلين الجرحى،
في المشافي،
حيث يجب أن يُطبّبوا،
ويُعامَلوا بالحُسنى،
كما تفرضهُ الأخلاقُ،
والإنسانية،
وكرامةُ القتال.

إنما الأممُ الأخلاقُ ما بقيت،

فإن هم ذهبتْ أخلاقَهم،
ذهبوا.

69

بعل بعلبك

وكان "بعل" بعلبك،
تابعًا للشيطان،
إن سلك دربًا،
تبعه،
وإن صعد سُلّمًا،
لحقه،
لا يفترُ عنه

طرفةَ عين،

حتى جرّه

إلى الحتف،

وأهلكه،

كما تُهلك النارُ

عودَ السرو اليابس.

خاتمة

ها نحن نصل إلى نهاية هذه الرحلة بين صفحات "ما لم يقله الشعر"، رحلة حاولت خلالها أن أفتح نافذة جديدة على عالم المشاعر الصامتة، والأفكار التي لم تجد لنفسها صوتاً في قوالب الشعر التقليدية.

إن الكلمات التي جمعتها هنا لم تكن مجرد تعبير عن الحزن أو الفرح، بل كانت محاولة لرسم لوحات من الوجدان والصدق، تلامس عمق النفس وتوقظ ما كان مخفيًا بين السطور.

أتمنى أن تكونوا قد وجدتم في هذه الصفحات صدقاً يلامس أرواحكم، وأن تظل تلك المشاعر التي لم تُقال يوماً، حاضرة في وجدانكم، تنبض بالحياة في كل لحظة قراءة.

أنا، محمود سليمان الظاظا، أشكركم على مرافقتي في هذه الرحلة، وأدعوكم لأن تظلوا متفتحين على ما وراء الكلمات، لأن أجمل ما في الشعر أحياناً هو ما لم يُقال.